وقفة حول المبادرات السعودية

أ. د. سالم بن محمد السالم *

■ نهج المملكة في حوار الحضارات يدعم فكرة التواصل بين الثقافات وتغليب القيم والتسامح في العلاقات.

برغم أن مفهوم (الحوار) يعود إلى الوراء سنوات بل قروناً طويلة، حيث نادى به العلماء والكتّاب والمفكرون، إلا أنه بدأ في الآونة الأخيرة يشكل هاجساً للقادة والسياسيين الذين وجدوا فيه الحل الأمثل لما تعانيه البشرية من صراعات ونكبات. فالحوار هو البديل المناسب لنقيضه (صراع الحضارات) الذي لا ينتج عنه إلا الصدام بين البشر، ومن ثم التنافر والتباعد، وربما حدوث الكوارث وقيام الحروب المدمرة. فإذا كان الصراع يعني العزلة، ويدفع إلى العنف والثورة، ويجر غالباً إلى جوانب الشر؛ فإن الحوار على النقيض تماماً، حيث إنه يمثل روح العصر، ويحترم مبدأ التنوع الثقافي والحضاري بين الأمم، ذلك أن كلمة (حوار) تحمل في طياتها العديد من المعاني الجميلة، ويأتي في مقدمتها الاعتراف بالآخر، وبحقه في هذا الوجود، وتقدير خصوصيته وعدم تغييرها بالقوة. ومن هذا المنطلق نبعت مبادرات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي تزعم الكثير من المشروعات الحوارية في هذا الصدد، حيث استضافت المملكة المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار بمكة المكرمة. كما عقد في الرياض بتاريخ ٢٣ مارس ٢٠٠٨م المنتدى السادس لحوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي انطلاقاً من حرص المملكة على ترسيخ مبادئ الحوار والتفاهم بين المجتمعات الإنسانية وبناء جسور التواصل والتعايش بين البشر.

وعلاوة على ما سبق فقد نظمت رابطة العالم الإسلامي برعاية من الملك عبدالله بن عبدالعزيز المؤتمر العالمي للحوار الذي عقد بالعاصمة الإسبانية مدريد، على مدى ثلاثة أيام، وقد أوصى هذا المؤتمر برفض نظريات حتمية الصراع بين الحضارات.

وكذلك فقد شاركت الملحقية الثقافية بسفارة خادم الحرمين الشريفين بجمهورية مصر العربية في المؤتمر الدولي الأول لحوار الحضارات الذي استضافته جامعة المنيا بمشاركة عدد من الدول العربية والأجنبية؛ بغرض تعزيز قنوات الاتصال بين الشعوب. ومنذ فترة قريبة عقدت المملكة في نيويورك بالمشاركة مع منظمة الأمم المتحدة القمة الدولية للحوار بين الأديان، وشارك فيها نحو خمسين

* أستاذ المكتبات والمعلومات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

رئيس دولة وحكومة، حيث بحثوا سبل نشر ثقافة السلام عبر الحوار بين معتنقي مختلف الديانات.

والمبادرات السابقة ما هي في الواقع إلا نماذج مما يحضرني في هذه اللحظة، وهي في مجملها خير دليل على الموقف السعودي من حوار الحضارات، وخير شاهد على دور القيادة في دعم فكرة التواصل بين الإنسانية، فقد أكد خادم الحرمين - حفظه الله - على أهمية غرس قيم المحبة والتسامح والحوار في المجتمع، مشيراً إلى أن هذه القيم تنطلق من قيم الدين الإسلامي الحنيف الذي يدعو إلى الوسطية والاعتدال والإخاء. وقال - رعاه الله - في أكثر من مناسبة: إن هذه الحوارات العالمية ستكون مجالاً واسعاً للنقاش والتحاور حول التعايش الإنساني، بل إنه دعا في كلمته أمام اجتماع قمة نيويورك إلى التعايش بين الشعوب وتجاوز نقاط الخلاف بين أتباع الأديان والثقافات، معتبراً أن التركيز على الخلاف أدى إلى التعصب وإلى حروب مدمرة لم يكن لها مبرر.

والصورة الإجمالية التي يمكن أن نخرج بها من الحقائق السابقة هي أن الحوار يمثل روح الحياة المعاصرة، حيث إنه يضمن للإنسان الحق في قول رأيه وبيان موقفه من القضايا التي يجري الحوار حولها، مهما كان هذا الرأي أو الموقف مخالفاً لما يعتقده الآخرون. وبدون الأخذ بهذا المبدأ يصبح الحوار من طرف واحد، ومن ثم يحاول كل فريق التغلب على الفريق الآخر ودحره، ويتحول الأمر بعد ذلك إلى صراع وصدام بين الأطراف بدلاً من أن يكون حواراً وتفاهماً.

وإذا كان الحوار مهماً في جميع الأزمنة والعصور فهو أكثر أهمية في الوقت الحاضر، وذلك لاعتبارات عديدة يأتي في مقدمتها تلك المؤامرات التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين هنا وهناك، والهجوم الغربي على الحضارة الإسلامية واتهامها بما ليس فيها، وتوظيف القنوات الإعلامية لتشويه صورة العقل العربي والإسلامي، وغير ذلك من العوامل الأخرى التي تدعونا إلى التمسك بالحوار ونشر ثقافة التعايش بدلاً من الصراع الذي قد يحمل الآخرين على محاربة كل ما يحمل الصبغة العربية والإسلامية.